

النوطة للجيل الصاعد

تفسير القرآن الكريم
سور من جزء عم

لأم تميم
الدكتورة / عزة محمد

دار الفوائد



النُّورُ السَّاطِعُ
لِلْجِيلِ الصَّاعِدِ

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٤٤ هـ - ٢٠٢٣ م

- اسم الكتاب: النور الساطع للجيل الصاعد (التفسير)
- اسم المؤلف: الدكتورة عزة محمد
- القطع: ٢٤ × ١٧
- عدد صفحات الكتاب: ١٢٠ صفحة
- سنة الطبع: ١٤٤٤ هـ / ٢٠٢٣ م
- الترميم الدولي: ٥-١-٠٩-٨٦٤-٩٧٧-٩٧٨

رقم الإيداع: ١٢٥٩ / ٢٠٢٣ م

دار البرزخ
دار الفؤاد

طبع . نشر . توزيع

جمهورية مصر العربية

المركز الرئيسي: دمياط - فارسكور: ٠٠٢٠٥٧٣٤٥٤٤٥٤ - ٠٠٢٠٥٧٣٤٤١٥٥٠

جوال: ٠١٢٢٢٣٦٨٠٠٢

فرع القاهرة: ١٣ ش البيطار - خلف الجامع الأزهر - هاتف: ٠٠٢٠٢٢٥١٤١٠١٥

جوال: ٠١١١١٧٧٩٥١

موقعنا: www.ibnragb.com

البريد الإلكتروني: ibnragb@gmail.com

النُّورُ السَّاطِعُ
لِلْجَبِيلِ الصَّاعِدِ

« التَّفْسِيرِ »

لِأَمِّ تَمِيمٍ
الدُّكْتُورَةِ عَزَّةَ مُحَمَّدٍ

دار الفکر
لِلنَّشْرِ وَالتَّوْزِيعِ



من إصدارات المؤلف

- **الفقه الميسر** - (٦ أجزاء) فقه مقارن - مكتبة مكة - القاهرة - طنطا
(ت: ٠١٢٢٣٤٨٩٨٥٣).
- **الفروق الفقهية والتطبيقات المعاصرة** - رسالة دكتوراه - دار ابن رجب - القاهرة
(ت: ٠١٢٢٣٦٨٠٠٢).
- **أمراض القلوب** - خمسة وثلاثون مرضًا من أمراض القلوب وطرق علاجها - مكتبة مكة
- القاهرة (ت: ٠١٢٢٣٤٨٩٨٥٣).
- **التعليقات الجليتي على العقيدة السفارينية** - للإمام السفاريني (٢ جزء) - دار
الآثار - القاهرة (ت: ٠٢٢٥١٢٥١٨٤).
- **مجموعة «بداية الهداية» للمبتدئين** (أصول الإيمان - تفسير القرآن - فقه العبادات -
الحديث) - دار ابن رجب - القاهرة (ت: ٠١٢٢٣٦٨٠٠٢).
- **الفتوحات الربانية في تفسير أسماء الله الحسنى** (٢ جزء) - دار ابن رجب - القاهرة
(ت: ٠١٢٢٣٦٨٠٠٢).
- **عقائد الفرق الضالة وعقيدة الفرقة الناجية** - دار ابن رجب - القاهرة (ت:
٠١٢٢٣٦٨٠٠٢).
- **الدرر البهية** - بيان التوحيد الصحيح من الكتاب والسنة (رسالة دكتوراه) - مكتبة/ دار
ابن الجوزي بالقاهرة (ت: ٠٢٢٥٠٦١٦٢١ - ٠٢٢٥٠٦١٦٢٠).
- **المحجة البيضاء** - في بيان أهمية التمسك بالسنة وبيان البدع وأنواعها - دار ابن الجوزي
القاهرة (ت: ٠٢٢٥٠٦١٦٢١ - ٠٢٢٥٠٦١٦٢٠).

- محمد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كأنك تراه - دار ابن الجوزي القاهرة
(ت: ٠٢٢٥٠٦١٦٢٠-٠٢٢٥٠٦١٦٢١).

- بيان قدر الصحابة عند الله العظيم وضلال الشيعة الخاسرين - مكتبة آل ياسر - القاهرة
(ت: ٠١١١٢٤٥٨٤٤٤).

- مجموعة النور الساطع للجيل الصاعد (تفسير - عقيدة - فقه - حديث).

* * *

الموقع الرسمي لأم تميم

omtameem.com

الصفحة الرسمية لأم تميم على الفيسبوك

<https://www.facebook.com/Om.Tameem.Dr.Azza.Mohamed>

* * *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقَدِّمَةُ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

وبعد، فهذه مجموعة كتب «النور الساطع للجيل الصاعد» للمرحلة العمرية من (١٢ - ١٥ عاماً)، وتشتمل على أربعة كتب:

١- **مجلد الاعتقاد:** وهو كتاب لبيان مجمل ما يجب على المسلم أن يتعلمه، ويؤمن به ويعمل به، ولا شك أن العقيدة الصحيحة أن ما يعتقد الإنسان بقلبه ويصدق به سبب نجاة العبد؛ لأنها تقوده إلى العمل، وعلى قدر قوة الاعتقاد يكون العمل، فإذا صحَّت العقيدة صحَّ العمل، وإذا فسدت العقيدة؛ فسد العمل؛ لأن كل إنسان يعمل بناء على ما يصدق به ويعتقده.

مثال: المسلم الذي يحافظ على أداء الصلوات الخمس، لماذا لا يترك

الصلوة؟

الجواب: لأنه يؤمن أنها فرض، ويعتقد أن أول ما يسأل عنه يوم القيامة الصلاة.

بهذه العقيدة يواظب على الصلاة، وقس على ذلك كل عبادة، سبب المداومة عليها قوة الإيمان وصحة الاعتقاد، سواء كانت بالقلب كالإخلاص وحب الله ورسوله وغير ذلك، أو كانت بالبدن كالصلاة، والصيام، والحج إلى غير ذلك، أو كانت باللسان كتلاوة القرآن وذكر الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغيره بالمداومة على الطاعة في الظاهر والباطن، في السر والعلانية نتاج سلامة الاعتقاد، فانتبه!

٢- مادة الحديث: مادة غاية في الأهمية؛ لأن دراسة أحاديث رسول الله تعرف من خلالها الأوامر والنواهي والأحكام التي جاءت في القرآن على وجه الإجمال، ثم فسرها لنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الأحاديث الثابتة عنه، كتفصيل أحكام الصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، والعمرة، وأحكام الأسرة، والمعاملات، وغير ذلك.

تنبيه: شرح الأحاديث مقتبس من كلام أكابر العلماء الذين اعتنوا بشروح الحديث، وذلك بتصرفٍ وزيادة، مع تسهيل العبارة؛ لتناسب المرحلة العمرية المستهدفة لقراءة مجموعة «النور الساطع».

٣- مادة التفسير: القرآن كلام الله، به تحيا القلوب وتستنير العقول، وبه تستريح النفوس، وتعالج به أمراض القلوب، فلا راحة في الدنيا، ولا جنة في الآخرة إلا بالتمسك بالقرآن: علماً وعملاً.

٤- مادة الفقه: علم غاية في الأهمية، فلا يستطيع المسلم أن يؤدي العبادة على الوجه الصحيح بغير فقه.

مثال: من أراد أن يتوضأ يجب عليه أن يعلم واجبات الوضوء وسننه، ونواقض الوضوء؛ لأنه ينبغي عليه صحة الصلاة أو عدمها، فكيف يعرف هذه الأشياء؟

كيف يعلم فقه سائر العبادات: الصلاة - الصيام - الزكاة - العمرة - الحج، وغير ذلك؟

إذن لا بد أن يتعلم فقه المسائل التي تجب عليه، أي: فقه العبادات.

وختاماً: أسأل الله عَزَّجَلَّ أن ينفع المسلمين بهذا العلم، وأن يكون بداية لطلب العلم بتوسُّع في المراحل العمرية المقبلة، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

* * *

أم تميم

عزة بنت محمد رشاد بن حسن

٢٠ رمضان - ١٤٤٤ هـ

١١ إبريل - ٢٠٢٣ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ١
الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ٢
الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ٣ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ٤
إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ٥ أَهْدِنَا
الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ٦ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ
عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ
وَلَا الضَّالِّينَ ٧

بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ سُورَةُ الْفَاتِحَةِ

أعظم سورة في القرآن، سُميت أم الكتاب؛ لأنه يُبدأ بكتابتها في المصحف، ويُبدأ بقراءتها في الصلاة، وتُسمى السبع المثاني؛ لأنها تُثنى في الصلاة، فتقرأ في كل ركعة وتسمى أم القرآن العظيم^(١)؛ لاشتغالها على التوحيد -توحيد الله- والعبادة وغير ذلك.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿١﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾

﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ أبدأ قراءة القرآن، ولفظ «اسم» يشمل جميع الأسماء الحسنى لله تعالى، أي: أبتدىء قراءتي بكل اسم لله تعالى.
والبسمة، أي: بسم الله الرحمن الرحيم تضمنت ثلاثة أسماء من أسماء الله الحسنى:

١- الله: أي المألوه المعبود المستحق لجميع أنواع العبادة لما له من صفات الجمال والكمال.

٢، ٣- الرحمن الرحيم: هما وصفان لله، واسمان من أسمائه الحسنى، والرحمن أشد مبالغة من الرحيم؛ لأن الرحمن هو: ذو الرحمة الشاملة لجميع الخلق في الدنيا، وللمؤمنين في الآخرة، والرحيم: ذو الرحمة للمؤمنين يوم القيامة، وعلى هذا أكثر العلماء^(٢).

(١) انظر: تفسير ابن كثير (١/١٧٤) طبعة دار ابن رجب.

(٢) انظر: أضواء البيان للشنقيطي (١/٥)، وجامع البيان للطبري (١/٧٨-٧٩)، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص ٣٩).

واعلم أن من القواعد المتفق عليها بين سلف الأمة وأئمتها، الإيمان بأسماء الله وصفاته، وأحكام الصفات، فيؤمنون مثلاً بأن الله رحمن رحيم، ذو الرحمة التي اتصف بها، المتعلقة بالمرحوم، فالنعم كلها أثر من آثار رحمته، وهكذا في سائر الأسماء.

يقال: العليم: إنه عليم ذو علم يعلم به كل شيء، قدير: ذو قدرة، يقدر على كل شيء.

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ الثناء على الله بصفات الكمال وأفعاله الدائرة بين الفضل والعدل، فله الحمد كله ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ إذ هو رب كل شيء وخالقه ومدبره، والعالمين: جمع عالم، وسُمِّيَ عَالِمًا؛ لأنه علم وعلامة على كل شيء سوى الله، فالله هو المربي لجميع العالمين، بإمداده لهم بالنعم الظاهرة والباطنة التي لو فقدوها ما استطاعوا البقاء في الدنيا، وهذه تربية عامة لجميع خلقه.

أما تربية الخاصة، فلا وليائه الصالحين السائرين على كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم فيربهم بالإيمان، ويوفقهم له، ويكملة لهم، ويدفع عنهم الصوارف التي تصرف قلوبهم عن الإيمان، والعوائق الحائلة بينهم وبينه، وهذه هي تربية التوفيق لكل خير، والعصمة من كل شر.

ولعل هذا المعنى هو السر في كون أكثر أدعية الأنبياء والمؤمنين بلفظ: «الرب»^(١)، كقول آدم عليه السلام: ﴿قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا﴾ [الأعراف: ٢٣]، وقال نوح: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [نوح: ٢٨]، وقال أيوب: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ

(١) انظر: المصدر السابق.

الرَّحِيمِ ﴿٨٣﴾ [الأنبياء: ٨٣]، وغيرهم من الأنبياء.

ومن دعاء الصالحين في القرآن باسم الرب، قولهم: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ ﴿٢٠١﴾ [البقرة: ٢٠١].

﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٣﴾ مَلِكُ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾﴾

﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ ثناء على الله باسمين من أسمائه بعد حمده، ﴿مَلِكُ يَوْمِ الدِّينِ﴾ تمجيد لله الذي اتصف بصفات الملك التي من آثارها أنه يأمر وينهى، ويثيب الطائع ويعاقب العاصي، ويتصرف في ملكه كيف يشاء، وأضاف المُلْك ليوم الدين - وهو يوم القيامة - لأنه يوم الحساب والجزاء، فيظهر للناس كمال ملكه وعدله وحكمته، وأنه الملك الحق، فيستوي اليوم ملوك الأرض والعبيد، لا مالك إلا هو جل جلاله^(١).

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾﴾

نخصك وحدك بجميع أنواع العبادة، ولا نشرك بك أحداً، ونطلب منك وحدك العون على القيام بما أمرتنا به من فعل الأوامر، وترك النواهي ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ اهدنا ودلنا ووفقنا للطريق المستقيم الواضح الموصل إليك، وهو الإسلام واتباع قرآن ربنا وسنة نبينا ﷺ.

(١) انظر: المصدر السابق.

﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾^(١).

من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ الذي عرفوا الحق وتركوه عنادًا واستكبارًا؛ كاليهود، ومن سلك طريقهم، ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ الذين ضلوا طريق الحق لجهلهم وتفريطهم في طلب العلم الذي يهديهم لمعرفة الحق؛ كالنصارى ومن شابههم، والتحذير من العناد وعدم العمل بما علمنا من الحق كاليهود، ونحذر من التقصير والتفريط في معرفة ديننا كالنصارى.

❀ ولما كان سؤال الهداية أعظم، وأهم طلب يسعى العاقل لتحصيله، علم الله تعالى عباده كيف يسألوه فأمرهم أن يحمّدوه ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ويثنوا عليه بأسمائه الحسنی ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ويمجدوه ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ ثم الإقرار من العبد أنه يعبد الله وحده ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ ويستعين به وحده ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ كل ذلك وسائل توصل العبد إلى طلبه، وهو الهداية ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، ولو حضر القلب مع سؤال الهداية لاستجاب الله تعالى^(١).

فالحاجة إلى الهدى أعظم من الحاجة إلى النصر والرزق؛ بل لا نسبة بينهما؛ لأنه إذا هُدي كان من المتقين ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾^(٢) ويرزقه مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴿[الطلاق: ٢-٣]﴾^(٢).

(١) انظر: تفسير ابن القيم (١ / ٣٦) بتصرف.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١ / ١١٦) بتصرف.

وعلى قدر ثبوت قدم العبد على هذا الصراط -أي: طريق الحق وطاعة الله ورسوله- على قدر ثبوت قدمه على الصراط الذي نُصب فوق جهنم ليمر عليه جميع الناس، فالجزاء من جنس العمل.

تم بحمد الله تفسير سورة «الفاتحة»

* * *

سورة البلد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ١ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ٢ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدٌ ٣
لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ٤ أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ
أَحَدٌ ٥ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَا لَا لُبُدًا ٦ أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ ٧
أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ٩ وَهَدَيْنَاهُ
النَّجْدَيْنِ ١٠ فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ١١ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ١٢
فَكُرْبَةَ ١٣ أَوْ اطَّعِمُهُ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْعَبَةٍ ١٤ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ١٥
أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ١٦ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا
بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ١٧ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ١٨
وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَيَّأْتِنَاهُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ١٩ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤَصَّدَةٌ ٢٠

سُورَةُ الْبَلَدِ

﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴿١﴾ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴿٢﴾ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ﴿٤﴾ أَيْحَسِبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴿٥﴾ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا ﴿٦﴾ أَيْحَسِبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ ﴿٧﴾﴾ .

يقسم الله ﷻ ﴿بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ وهي مكة المكرمة، والتي هي أشرف بقاع الأرض، إذ فيها بيت الله الحرام، فهي أفضل البلدان على الإطلاق، خصوصاً وقت حلول الرسول ﷺ، فحلولة بمكة له شأن عظيم، ومنه أن الله رفع عنهم العذاب لوجوده فيهم ﷺ، كما قال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ [الأنفال: ٣٣].

﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾ أي: آدم وذريته، فأقسم بمكة، وهي أم القرى، وأقسم بآدم وهو أبو البشر، وكأنه سبحانه أقسم بأصول الموجودات وفروعها - البلاد والبشر - ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ الكبد: الشدة، وقد خلق الله الإنسان في شدة يكابد أمر الدنيا وأمر الآخرة، فكلاً من الدنيا والآخرة يحتاج إلى جهد لتحصيله، واللبيب السعيد من جعل جُلَّ جهده للآخرة الباقية، ﴿أَيْحَسِبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾ ينكر الله جلَّ ثناؤه على الإنسان حسبانته أن لن يقدر عليه من خلقه في هذا الكبد والشدة، فالذي خلقه كذلك قادر عليه، ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا﴾ تلبد الشيء: إذا اجتمع، والمراد أنه أنفق مَالًا كثيراً، فافتخر هذا الإنسان بإهلاك المال وإنفاقه في غير وجهه، فأنكر سبحانه افتخاره، وتبجحه بإنفاق المال في شهواته المحرمة التي فيها هلاكه، وتخويفه بقوله: ﴿أَيْحَسِبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ﴾

أحد ﴿ أَيُظَنُّ أَنْ لَمْ يَرَهُ اللهُ عَجَبًا حِينَ أَنْفَقَ مَالَهُ عَلَى مَا فِيهِ هَلَكَهٗ ﴾^(١).

﴿الْمَنْ جَعَلَ لَهُ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْتَهُ التَّجْدِينَ ﴿١٠﴾ فَلَا أَقْنَحُمُ الْعُقْبَةَ ﴿١١﴾ وَمَا أَدْرَنَكَ مَا الْعُقْبَةُ ﴿١٢﴾﴾.

ألم ننعم عليه بعينين يُبصر بهما، ﴿وَلِسَانًا﴾ يتكلم به، فيعبر عما في ضميره، وما بداخله ﴿وَشَفَتَيْنِ﴾ يستعين بهما على الكلام والطعام، وهما أيضًا من جمال الوجه، وهذه من أعظم النعم، فهب أنك لا ترى، لا تتكلم، فكيف تكون حياتك، فهذه النعم تستوجب الشكر، بأن يستعملها الإنسان فيما يرضي الله، ولا يستعملها في معصيته، ﴿وَهَدَيْتَهُ التَّجْدِينَ﴾ عرفناه طريق الخير وطريق الشر، ﴿فَلَا أَقْنَحُمُ الْعُقْبَةَ﴾ أي: لم يقتحمها ولم يعبر عليها؛ لأنه متبع لشهواته، وقيل العقبة: مكان شاق يقتحمه الناس حتى يصلوا إلى الجنة، ﴿وَمَا أَدْرَنَكَ مَا الْعُقْبَةُ﴾ تعظيمًا لشأن العقبة، وتفخيماً لأمرها^(٢)، ثم أخبر عن سبب اقتحامها والنجاة منها، وذلك بأمور، قال:

﴿فَكُ رَقَبَةٌ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾﴾.

أي: فكُّها من الرق بعققتها ومساعدتها بالمال على ذلك، وقد جاءت نصوص عديدة في القرآن والسنة تحث على تحرير الرقاب، ومنها هذه الآية، وكذا السعي في فكالك الأسير المسلم عند الكافر، وهذا من باب أولى.

(١) انظر: بدائع التفسير (٥/ ٢١٧، ٢١٨)، وأضواء البيان (٨/ ٥٢٩-٥٣١)، وتفسير السعدي (ص ٩٢٥)، وجامع البيان (٣٠/ ٢٤٦-٢٤٩)، ومحاسن التأويل (٧/ ٣٢٤-٣٢٦).

(٢) انظر: المصدر السابق.

﴿أَوْ إِطْعَمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾ أو أن يُطعم في يوم مجاعة، يندر فيه وجود الطعام، فهو يُطعم وقت الحاجة أشد الناس احتياجًا للطعام، وهذا يدل على قوة الإيمان واليقين على الجزاء من الله على عمله، ﴿يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾ يتيمًا فقد أباه وهو كذلك من أقاربه، وخص اليتيم الذي بينك وبينه صلة قرابة؛ لأن الصدقة على القريب تكون صدقة وصله رحم، فالصدقة عليه أفضل وأولى من غيره، ﴿أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ مسكينًا فقيرًا قد لصق بالتراب من شدة الفقر والحاجة، مطروحًا على الطريق، ليس له مأوى إلا التراب^(١).

* * *

﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤَصَّدَةٌ ﴿٢٠﴾﴾.

ثم هو مع هذه الأوصاف الجميلة مؤمن بقلبه، وهذا قيد لاقتحام العقبة، فغير المؤمن لا ينفعه عمله في الآخرة، فالإيمان شرط عند العمل، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾ [الإسراء: ١٩]، وغيرها من الآيات والأحاديث الكثيرة جدًا، ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ كان من المؤمنين العاملين صالحًا، المتواصين بالصبر، والصبر أقسام: صبر على طاعة الله، أي: لإعراض ولا تكاسل عن أداء الطاعات، وصبر عن معصيته، فلا يضعف أمام شهوات النفس، بل يمنعها من العصيان، وصبر على أقدار الله، وإن كانت مخالفة لنفسه وهواه، وصبر على أذى الناس

(١) انظر: أضواء البيان (٨/ ٥٣٢-٥٣٤)، وتفسير القرطبي (٢٠/ ٦٦-٧١)، وتفسير ابن كثير

(١٤/ ٤١٨-٤١٤)، وتفسير السعدي (ص ٩٩٥)، وبدائع التفسير (٥/ ٢٢٠، ٢٢١).

وهو من أقدار الله التي قدرها على العبد، ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾ يوصي بعضهم بعضاً بالرحمة، كما في الحديث: «لا يرحم الله، مَنْ لا يرحم الناس»^(١).

﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ المتصفون بهذه الصفات من أصحاب اليمين، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾ أما الكفار فهم أصحاب الشمال، يأخذون كتابهم بشمالهم، فيدخلون النار، ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤَصَّدَةٌ﴾ مغلقة، أطبقها الله عليهم، فلا ضوء فيها ولا خروج منها أبد الآباد^(٢).

تم تفسير سورة «البلد» والله الحمد

(١) أخرجه البخاري (٦٠١٣)، ومسلم (٢٣١٩).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (١٤ / ٤١٨، ٤١٩)، وجامع البيان (٣٠ / ٢٥٩، ٢٦٠)، وأضواء البيان

(٨ / ٥٣٤، ٥٣٥).

الجزء الثالثون

سورة الشمس

سورة الشمس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ١ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَّهَا ٢ وَالنَّهَارِ إِذَا جَدَّهَا ٣
وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ٤ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَدَهَا ٥ وَالْأَرْضِ
وَمَا طَحَّهَا ٦ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا
وَتَقْوَاهَا ٨ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ٩ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ١٠
كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا ١١ إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا ١٢ فَقَالَ لَهُمْ
رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ١٣ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ
عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ فَسَوَّاهَا ١٤ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ١٥

سُورَةُ الشَّمْسِ

﴿ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ١ ﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَّهَا ٢ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّهَا ٣ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ٤ ﴾ . .

أقسم الله تعالى في تلك الآيات على النفس المفلحة الزكية، والنفس الشقية الخبيثة، فقال: ﴿ وَالشَّمْسِ ﴾، فالشمس وحدها آية دالة على قدرة خالقها، لما فيها من عجائب، وهي على مر الزمان، بدون انتقاص لحجمها، ولا تغيير لشكلها، ﴿ وَضُحَاهَا ﴾ وهو وقت ارتفاعها بعد طلوعها من شرقها، وانتشار ضوئها نهاراً، وبه سمي وقت الضحى، وهذا وحده آية؛ لأن ذلك نتيجة لحركتها، وحركتها آية من آيات الله، ففي هذا السير قدرة باهرة، ودقة متناهية، وقد قالوا: لو اقتربت درجة أو بعدت درجة لما استطاع أن ينتفع بها أحد؛ لأنها تحرق العالم باقترابها، ويتجمد العالم ببعدها، وذلك تقدير العزيز العليم القدير، ﴿ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَّهَا ﴾ أي: إذا تبعها، فإذا غربت الشمس تلاها القمر بالطلوع، فلا يسبقها بالطلوع، والقمر آية من آيات الله، ﴿ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّهَا ﴾ إذا كشف ما على وجه الأرض بضوئه فيتيسر السعي وطلب المعاش والرزق، ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ﴾ يغشي وجه الأرض -أي: يغطيه- فيكون ما عليها مظلمًا، فالليل راحة وسكون للخلق^(١).

* * *

(١) انظر: أضواء البيان (٨/ ٥٣٦-٥٣٨)، وتفسير ابن كثير (١٤/ ٤٢٠، ٤٢١)، والجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ٧٤، ٧٥)، وجامع البيان (٣٠/ ٢٦١-٢٦٣)، ومحاسن التأويل (٧/ ٣٢٩)، (٣٣٠)، وتيسير الكريم الرحمن (ص ٩٢٦).

﴿وَالسَّمَاءَ وَمَا بَنَاهَا ٥ وَالْأَرْضَ وَمَا طَحَّهَا ٦ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ٧﴾ فَأَلْهَمَهَا
فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ٨ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ٩ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ١٠﴾.

أقسم -تعالى ذكره- بالسماء، وبانيها الذي بناها، وهو القادر الذي أبدع خلقها، فهي غاية في الجمال والإتقان والإحكام ﴿وَالْأَرْضَ وَمَا طَحَّهَا﴾ أي: مدها ووسَّعها، فتمكن الخلق من الانتفاع بها، واستقر عليها الإنسان والحيوان، ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ يقسم تعالى بالنفس البشرية، وهي آية عظيمة من آيات الله التي تستحق أن يقسم بها، فإنها غاية في اللطف والخفة، سريعة الحركة والتنقل والتغيير والتأثير، والانفعالات النفسية من الهم والحزن والفرح، والحب والبغض، وهي التي لولاها لكان البدن مجرد تمثال لا فائدة فيه، وتسويتها على هذا الوجه آية من آيات الله، ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ أي: عرفها طريق الفجور والمعاصي والشر، وعرفها طريق التقوى والطاعة والخير، ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ قد فاز بكل خير، ونجا من كل شر، مَنْ طهر نفسه من العيوب والذنوب، وجعلها زكية بالإيمان والطاعة، ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ وقد خاب وخسر من أخفى نفسه الكريمة وخذلها بارتكاب الذنوب، وترك طاعة الله تعالى.

واعلم أن ما يتزكى به العبد من إيمان وطاعة، وترك معصية، فإنه بفضل من الله، قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ، مَا زَكَّيْنَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ [النور: ٢١]^(١).

* * *

(١) انظر: المصدر السابق.

﴿كَذَبَتْ ثُمُودٌ بِطَعُونَهَا ۝١١﴾ إِذْ أُنْبِثَتْ أَشْقَاهَا ۝١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ
 اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ۝١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ
 بِذُنُوبِهِمْ فَسَوَّاهَا ۝١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ۝١٥﴾ .

ثمود اسم قبيلة، وهؤلاء كذبوا نبي الله صالحًا ﷺ، وسبب ذلك طغيانهم،
 وما كانوا عليه من البغي والإثم، وإعراضهم عن الحق، ﴿إِذْ أُنْبِثَتْ أَشْقَاهَا﴾
 إذ نهض أشقى رجل في القبيلة لعقر الناقة -أي: ضربها بالسيف- وهذه الناقة
 كانت آية من آيات الله؛ لأنها خرجت من صخرة، كما قال تعالى: ﴿قَدْ
 جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فذَرُوهَا
 تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٧٣﴾ [الأعراف]،
 وهي دليل على صدق نبوة صالح ﷺ، ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ﴾ فقال لثمود
 رسول الله صالح ﷺ ﴿نَاقَةَ اللَّهِ﴾ أي: احذروا ناقة الله -التي جعلها لكم
 آية- أن تمسوها بسوء ﴿وَسُقْيَاهَا﴾ شرابها، وإنما حذرهم سقيا الناقة؛ لأنه
 كان جاءهم الأمر من الله، أن الناقة تشرب ماء البئر يومًا، وأنتم تشربون يومًا،
 كما قال تعالى: ﴿قَالَ هَذِهِ نَاقَةُ هَآءَا شَرِبْ وَلَكُمْ شَرِبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ۝١٥٥﴾ وَلَا
 تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝١٥٦﴾ [الشعراء]، ﴿فَكَذَّبُوهُ
 فَعَقَرُوهَا﴾ فكذبوه بما جاء به، وعقروا الناقة التي أخرجها الله من الصخرة
 آية لهم، والذي قتل الناقة واحد مع رضا قومه بفعله، فكانوا شركاء في الإثم.
 ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ﴾ أي: أهلكهم، ودمر عليهم ربهم
 بذنوبهم وكفرهم به، وتكذيبهم رسوله صالحًا ﷺ.

﴿فَسَوَّيْنَاهَا﴾ فسوى بينهم في العقوبة، ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ أي: فعل الله ذلك بهم غير خائف أن تلحقه تبعة الدممة من أحد، وكيف يخاف الملك القاهر، الذي خضعت لعظمته الرقاب، فلا يخرج من تصرفه وقهره مخلوق، الحكيم في شرعة وقضائه، الرحيم بعباده المؤمنين^(١).

* * *

تم بحمد الله تفسير سورة «الشمس»

(١) انظر: نفس المصدر.

سُورَةُ اللَّيْلِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى ١ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى ٢ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ٣
 إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى ٤ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ٦
 فَسَنِيسِرُهُ لِلْئِسْرَى ٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ٩
 فَسَنِيسِرُهُ لِلْعُسْرَى ١٠ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى ١١ إِنَّ عَلَيْنَا
 لَلْهُدَى ١٢ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى ١٣ فَأَنْذَرْتُمْكُمْ نَارًا تَاطَلَى ١٤
 لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ١٥ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى ١٦ وَسَيُجَنَّبُهَا
 الْأَتْقَى ١٧ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ رِيضِكِي ١٨ وَمَا أَحَادٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ
 تُجْزَى ١٩ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى ٢٠ وَلَسَوْفَ يَرْضَى ٢١

سُورَةُ اللَّيْلِ

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝١ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ۝٣﴾ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ۝٤ ﴿

الليل آية من آيات الله، أقسم به في جميع أحواله، فأقسم به وقت غشيانه، أي: وقت تغطيته كل شيء بظلمته، وأقسم بالنهار ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾ إذا انكشف ووضح وظهر وبان ضوءه، ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ﴾ والذي خلق الذكر والأنثى، أي: أنه قد أقسم بنفسه ﷻ، أو أنه أقسم بخلقه للذكر والأنثى، وكمال حكمته في ذلك، أن خلق من كل صنف من الحيوانات التي يريد بقاءها ذكراً وأنثى، فتبارك الله أحسن الخالقين، ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾ إن أعمالكم مختلفة، فمن العباد من يفعل الخير ومنهم من يفعل الشر^(١).

* * *

﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَانْفَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنِيَرَهُ لِلْإِسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنِيَرَهُ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ ۝١١﴾

فأما من أعطى ما أمر به من النفقات الواجبة عليه؛ كزكاة المال، والنفقات المستحبة؛ كالصدقات والإنفاق في وجوه الخير، وأيضاً العبادات البدنية، كالصلاة، والصيام، والحج، والعمرة، وغير ذلك فالعطاء يعم كل وجوه الخير،

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٢٠ / ٨٢، ٨٣)، وتفسير ابن كثير (١٤ / ٤٢٧، ٤٢٨)، وبدائع

التفسير (٥ / ٢٣٩، ٢٤٠)، وتفسير السعدي (ص ٩٢٧).

﴿وَأَنْتَقَى﴾ ما نهى الله عنه من المحرمات والمعاصي، ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾ : لا إله إلا الله، التي تستلزم التصديق بجميع أصول الدين وفروعه، أي: التصديق بكل ما جاء في القرآن والسنة، ﴿فَسَنِيئَتُهُ لَلْيُسْرَى﴾ أي: نسهل عليه أمره، ونجعله ميسراً لكل خير، وميسراً له ترك كل شر؛ لأنه أتى بأسباب التيسير، وهي: العطاء - التقوى - التصديق بالحسنى، ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ﴾ بما أمر به، فترك الإنفاق الواجب والمستحب، وترك فعل الخيرات وترك المنكرات ﴿وَأَسْتَعْنَى﴾ عن الله، فترك عبادته، ﴿وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى﴾ كذب بما أوجب الله عليه أن يصدق به، ﴿فَسَنِيئَتُهُ لَلْعُسْرَى﴾ فنيسر عليه عمل الشر، ونعسر عليه فعل الخير، فيجري الشر على لسانه وبدنه، ﴿وَمَا يُعْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى﴾ وما يغني عنه ماله الذي بخل به إذا هلك، ودخل النار^(١).

* * *

﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى﴾ (١٢) ﴿وَأَنَّ لَنَا الْآخِرَةَ وَالْأُولَى﴾ (١٣) ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى﴾ (١٤) ﴿لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى﴾ (١٥) ﴿الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ (١٦).

إن علينا أن نبين للعباد طريق الهدى، وطريق الضلال، ﴿وَأَنَّ لَنَا الْآخِرَةَ وَالْأُولَى﴾ الجميع ملك لله - جل في علاه -، وهو المتصرف فيهما، لا شريك له، ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى﴾ تسعر وتتوهج وتتوقد، ﴿لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى﴾ لا يدخلها دخولاً يحيط به من كل جانب إلا الشقي، ﴿الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ الذي كذب ما جاء به الرسول ﷺ، وأعرض عن الإيمان^(٢).

* * *

(١) انظر: المصدر السابق.

(٢) انظر: نفس المصدر.

﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ﴿١٧﴾ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى ﴿١٩﴾ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَى ﴿٢١﴾﴾.

وسيزح عن النار التقي النقي، ثم فسره بقوله: ﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾ الذي يصرف ماله في طاعة ربه، ليزكي نفسه وماله، وما وهبه الله من نعم الدنيا، ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى﴾ ليس لأحد من الخلق على هذا التقي نعمة أنعم بها عليه، فيعطيه المال مكافأة له، فما أعطى ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى﴾ لا يريد بما بذل وأنفق من مال إلا وجه ربه الأعلى، ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾ غاية التأكيد من الله تعالى على ما وعده إياه الثواب الجزيل، والخير الكثير^(١).

* * *

آخر تفسير سورة «الليل» والله الحمد

(١) انظر: نفس المصدر.

الجزء الثالثون

سورة الضحى

سورة الضحى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- وَالضُّحَىٰ ١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ٣
وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ٤ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ
فَتَرْضَىٰ ٥ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ٦ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ٧
وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ٨ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ٩
وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ١٠ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ١١

سُورَةُ الضُّحَىٰ

﴿وَالضُّحَىٰ ١﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ٣﴾ وَاللَّآخِرَةَ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ٤﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ٥﴾ .

أقسم الله -تبارك وتعالى- بالضحى وبالليل -وهما آيتان من آيات الله- على اعتنائه برسوله ﷺ قال: ﴿وَالضُّحَىٰ﴾ والمراد وقت الضحى، ويكون عند ارتفاع الشمس وطلوعها من مشرقها، وانتشار ضوء النهار، وهذا بدء وقت الضحى، ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ أي: سكن بأهله، وثبت ظلامه، ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ﴾ ما تركك ربك، ولا أهملك منذ اعتنى بك وأكرمك، ﴿وَمَا قَلَىٰ﴾ ولا أبغضك منذ أن أحبك، ﴿وَاللَّآخِرَةَ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾ أي: ما أعددت لك في الدار الآخرة -من الدرجة العالية الرفيعة التي لا يشاركك فيها أحد من العباد- خير لك مما عجلت لك من الكرامة في الدنيا، فقد أعطاه الله في الدنيا من الفضائل والنعيم، وسرور القلب، وانسراح الصدر ما لم يُعط الأولين والآخرين، فقد مكَّن له دينه، ونصره على أعدائه، فأعزه غاية الإعزاز، وغير ذلك من النعيم، ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾ هذه عبارة شاملة جامعة لعطاء الله لنيبه ﷺ كل أنواع العطايا التي ترضيه، وأما ما يغتر به الجُهاال من أنه لا يرضى ﷺ وواحد من أمته في النار، أو لا يرضى أن يدخل أحد من أمته النار، فهذا من غرور الشيطان لهم ولعبه بهم، فإنه ﷺ يرضى بما يرضى به ربه، وهو سبحانه يُدخل النار من يستحقها من الكفار والعصاة، ثم يُخرج المسلمين بشفاعة الرسول ﷺ، والمؤمنين، وبرحمة أرحم الراحمين الملك الحق (١).

(١) انظر: بدائع التفسير (٥/ ٢٥٥، ٢٥٦)، وجامع البيان (٣٠/ ٢٨٨-٢٩٢)، وتيسير الكريم الرحمن (ص ٩٢٨)، وتفسير ابن كثير (١٤/ ٤٣٨-٤٤٣).

﴿الْمَ يَجِدُكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ﴾ ٦ ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ﴾ ٧ ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ﴾ ٨

ثم عدد سبحانه نعمه على عبده ورسوله محمد ﷺ، فقال: ﴿الْمَ يَجِدُكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ﴾ وذلك أن أباه توفي وهو في بطن أمه، ثم ماتت أمه، فنشأ يتيمًا، فكان في حاجة إلى من يؤويه ويغنيه ويتكفل به، فأواه ربه، فكان في كفالة جدة عبد المطلب ثم عمه أبي طالب، ثم لم يزل سبحانه ينصره ويرفع قدره، ويكف عنه أذى قومه، حتى أيده الله بنصره وبالمؤمنين، ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ﴾ أي: وجدك لا تدري ما القرآن ولا تفصيل الشريعة، فعلمك ما لم تكن تعلم من شرع الله، ووفقك لأحسن الأعمال والأخلاق، ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ﴾ وكنت فقيرًا فأغناك الله، فجمع له بين مقامي الفقير الصابر، والغني الشاكر، فكان حال فقره صابرًا، وحال غناه شاكرًا لله، ثم أمره الله تعالى أن يقابل هذه النعم بما يليق بها بالإحسان إلى من ابتلي بمثل ابتلائه ﷺ^(١)، فقال:

﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ ٩ ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ ١٠ ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ ١١

أي: لا تُسيء معاملة اليتيم، بل أكرمه وأعطه ما تيسر فقد كنت يتيمًا فأواك الله، وهذا نهى لجميع المكلفين عن الإساءة لليتيم، ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ ولا تنهر السائل؛ سواء سأل علمًا أو مالًا، فقد كنت ضالًّا عن العلم فهداك وعلمك، وكنت فقيرًا فأغناك وأكرمك.

(١) انظر: المصدر السابق.

﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ وهذا يشمل النعم الدينية والدينيوية، فأثنِ على الله بما أنعم عليك، فإن التحدث بنعم الله وإظهارها داعٍ لشكرها، ولنحذر أن يكون التحدث بنعم الله علينا من باب الفخر والتعالي على الآخرين، أو من باب الرياء بالعلم والعمل، نسأل الله النجاة^(١).

* * *

تم بحمد الله ومِنْتَهُ تفسير سورة «الضحى»

(١) انظر: نفس المصدر.

الجزء الثلاثون

سورة الشرح

سورة الشرح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۙ ۱ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۙ ۲
الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ۙ ۳ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۙ ۴ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۙ ۵
إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۙ ۶ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۙ ۷ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ ۙ ۸

سُورَةُ الشَّرْحِ

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾﴾.

الاستفهام في الآيات بمعنى التأكيد، فالمعنى: وسعنا لك صدرك للتوحيد والإيمان، والدعوة إلى الله، والاتصاف بمكارم الأخلاق، وفعل الخيرات، وقوة في تبليغ الدعوة، وتحمل أعباء الرسالة بصدر رحب، ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾﴾ وحططنا عنك ذنبك، وما كان من خطايا أيام الجاهلية، ﴿الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾﴾ أي: أثقل ظهرك، كما قال تعالى: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴿٢﴾﴾ [الفتح: ٢]، ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾﴾ أعلينا لك قدرك في الدنيا والآخرة، وجعلنا لك الثناء الحسن العالي الذي لم يصل إليه أحد من الخلق، كما قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٤﴾﴾ [الأحزاب: ٥٦]، والمعنى: أن الله وملائكته يُثنون على النبي ﷺ في الملائكة الأعلى، ثم أمر عباده المؤمنين بالصلاة عليه - أي: الثناء عليه - ولا تصح شهادة أن لا إله إلا الله إلا إذ يقول: وأشهد أن محمداً رسول الله، وذكر اسمه مع اسم الله تعالى في الأذان، والإقامة، وفي الصلاة، والخطب، وغيرها، وجعل له في قلوب المسلمين من المحبة والتعظيم والإجلال ما ليس لأحد غيره بعد الله تعالى، وغير ذلك من الأمور التي أعلى الله بها ذكره ﷺ (١).

(١) انظر: بدائع التفسير (٥/ ٢٦٤)، وتيسير الكريم الرحمن (ص ٩٢٩)، وتفسير الطبري (٣٠/ ٢٩٥، ٢٩٦)، وأضواء البيان (٨/ ٥٧٢-٥٧٤).

﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ۝٨﴾.

يخبر الله ﷻ أن مع الضيق والشدة والصعوبة يسراً، أي: سعة وغنى، وذكر العسر في الآيتين معرّفًا بالألف واللام، يدل على أنه واحد، أي: عسرًا واحدًا، وذكر اليسر في الآيتين بلفظ النكرة، يدل على أنهما يسران، وهذه بشارة من ربنا عظيمة، فلن يغلب عُسْر يُسْرَيْنِ، والله الحمد والمنة، ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾ إذا فرغت من أمور الدنيا وأشغالها، فاجتهد في عبادة ربك وأتعب نفسك شكرًا لله على نعمه السابقة، وما وعدك به من النعم اللاحقة، ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب﴾ واجعل رغبتك ونيتك إلى الله ﷻ وحده^(١).

* * *

آخر تفسير سورة «الشرح»

والحمد لله رب العالمين

(١) انظر: المصدر السابق.

الجزء الثالثون

سورة التين

سورة التين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- والتين والزيتون ١ وطور سينين ٢ وهذا البلد الامين ٣
لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم ٤ ثم رددناه اسفل سفلين ٥
الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم اجر غير ممنون ٦
فما يكذبك بعد بالدين ٧ اليس الله باحكم الحاكمين ٨

سُورَةُ التِّينِ

﴿وَالَّذِينَ وَالزَّيْتُونَ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ۝٣ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ۝٥﴾.

التين هو الفاكهة المعروفة، والزيتون الثمرة المعروفة، يُؤكل ويعصر ومنه الزيت، أقسم الله بهما لكثرة منافعهما وفوائدهما، ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ وهو جبل الطور بسيناء، محل نبوة موسى ﷺ، ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ وهي مكة المكرمة، محل خاتم الأنبياء والمرسلين، سيد ولد آدم، رسول الله ﷺ، ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ أي: أنه تعالى خلق الإنسان في أحسن شكل، تام الخلقة، معتدل القامة، كامل الصورة، فالتقويم: تصيير الشيء على ما ينبغي أن يكون، فقد خلقه الله في أحسن ما يكون، ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ ثم رده سبحانه إلى النار، في أسفل سافلين، فأكثر الناس عن طاعة ربهم معرضون، منشغلون بالدنيا وزينتها، جاحدون نعم الله عليهم، فكان جزاؤهم جهنم، إلا من عمل بطاعة الله^(١)، ولذلك قال:

﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٦ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالذِّينِ ۝٧ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ۝٨﴾.

استثنى الله تعالى المؤمنين الذين آمنوا بالله ورسوله، وشكروا نعمة الإسلام بأن عبدوا الله وحده، وترفعوا عن السفالة؛ خوفاً من الله، فرفعهم الله إلى المنازل العالية في جنة الخلد، فقال: ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ لهم على ما قدموا

(١) انظر: تفسير ابن كثير (١٤/ ٤٥٤، ٤٥٥)، وبدائع التفسير (٥/ ٢٦٩-٢٧٢)، وتيسير الكريم الرحمن (ص ٩٢٩-٩٣٠).

من الأعمال الصالحة في الدنيا بثواب غير مقطوع، فالجنة نعيمها دائم لا ينقطع عن أهلها، ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدَ بِالْدِينِ﴾ ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ بِالْجِزَاءِ وَالْمَعَادِ وَالْحِسَابِ، بعد ما رأيت آيات الله الكثيرة، ومنها: مبدأ خلقك وصورتك، والذي خلقك من عدم قادر على أن يعيدك، والذي جعلك في أحسن صورة - بعد أن كنت نطفة من ماء مهين في بطن أمك - لا يليق أن يتركك سُدىً هماً بلا أمر ولا نهي، ولا بيان ما ينفعك ويضرّك، ولذلك قال: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾ نعم، وحكمة أحكم الحاكمين تقتضي أن لا يفعل خلاف ذلك^(١).

* * *

تم والله الحمد والمنة تفسير سورة «التين»

(١) انظر: المصدر السابق.

سورة العلق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ٢ أَلَمْ يَكُنْ
 أَعْمَى ٣ وَالْأَبْصَارُ ٤ عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ٥ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ
 مَا لَمْ يَعْلَمْ ٥ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ ٦ أَن رَّاهُ اسْتَعْجَلَ ٧
 إِيَّاكَ إِلَى رَبِّكَ أَلَمْ يَكُنْ عَلَىٰ سَبِيلٍ مُّبِينٍ ٨ أَلَمْ يَكُنْ عَلَىٰ سَبِيلٍ مُّبِينٍ ٩
 إِذَا صَلَّى ١٠ أَلَمْ يَكُنْ عَلَىٰ سَبِيلٍ مُّبِينٍ ١١ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ ١٢
 أَلَمْ يَكُنْ عَلَىٰ سَبِيلٍ مُّبِينٍ ١٣ أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ١٤ كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ
 لِنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ١٥ نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ١٦ فليَدْعُ نَادِيَهُ ١٧
 سَدِّعُ الزَّبَانِيَةَ ١٨ كَلَّا لَا تَطْعَهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ١٩

سُورَةُ الْعَلَقِ

﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ (١) ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ (٢) ﴿أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ (٣)
 الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ .

هذه السورة، هي أول سورة أنزلها الله على رسوله ﷺ، فجاءه جبريل عليه السلام بالرسالة من عند الله، وأمره أن يقرأ، فقال له جبريل: اقرأ، قال رسول الله ﷺ: ما أنا بقارئ، فلم يزل جبريل يكرر ذلك حتى قال: ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ﴾ (١) اقرأ هذا القرآن مفتتحاً باسم ربك ﴿الَّذِي خَلَقَ﴾ جميع المخلوقات، ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ خص الإنسان من سائر المخلوقات بالذكر تكريماً له، وذكر ابتداء خلقه من علق جمع علقة، والعلقة: هي الدم الجامد بعد النطفة، وهو من مراحل خلق الجنين في بطن أمه، فالذي جعله في أحسن تقويم من هذه العلقة قادر على أن يجعلك قارئاً، وإن لم تكن تعلم القراءة من قبل، وكذلك الذي خلق الإنسان من تلك العلقة، واعتنى بتدبير أمره، لا بد من أن يبين له أمر دينه، وذلك بإرسال الرسل، وإنزال الكتب، فأرسل رسوله ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين بخاتم الكتب السماوية - القرآن العظيم - ولذلك قال: ﴿أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ أي: اقرأ - يا رسول الله - وربك يعينك ويُفهمك فهو سبحانه كثير الكرم، واسع العطاء، عظيم الإحسان، ولذلك قال: ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ علم الإنسان الكتابة التي يحفظ بها العلوم، وقد خرج من بطن أمه لا يعلم شيئاً، فدل على كرمه - تبارك وتعالى -، بأن علم عباده ما لم يعلموا، ونقلهم من ظلمة الجهل إلى نور العلم، وذكر القلم الدال على الكتابة لما في الكتابة من المنافع العظيمة

(١) انظر: صحيح البخاري (٣٣٩٢، ٦٩٨٢)، وصحيح مسلم (١٦٠) وغيرهما.

للخلق، والتي يصعب عدها، ويعجز عن شكرها^(١)، ولذلك قال:

﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظِرٌ ﴿٦﴾ أَنْ رَأَاهُ اسْتَفْتَى ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجُوعَ ﴿٨﴾ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّى ﴿١٠﴾ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَىٰ الْهُدَىٰ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ ﴿١٢﴾ ﴾ .

أي: ما ينبغي أن يكون هكذا الإنسان، أن يُنعم عليه ربه بتسوية خلقه، وتعليمه ما لم يكن يعلم، ثم يكفر النعم، ويطغى ويتجاوز حده، ويستكبر على عبادة ربه إذا رأى نفسه ذا مال وثروة وجاه، ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجُوعَ﴾ إلى الله المصير والمرجع، وسيحاسبك على طغيانك، ويجازيك بما تستحق، وفي الآية تهديد للطغي، وتحذير من عاقبة الطغيان بالنعيم، ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى﴾ وهو أبو جهل ﴿عَبْدًا إِذَا صَلَّى﴾ وهو محمد رسول الله ﷺ، قال أبو جهل: «لئن رأيت محمداً يصلي عند الكعبة لأطئن على عنقه، فبلغ النبي ﷺ فقال: «لو فعله لأخذته الملائكة»^(٢).

﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَىٰ الْهُدَىٰ﴾ أرأيت إن كان العبد المصلي على العلم بالحق والعمل به، ﴿أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ﴾ أو أمر بالمعروف وبتقوى الله، هل يحسن من كان بهذا الوصف أن يُنهى عن الصلاة وعن تقوى الله؟!^(٣).

* * *

(١) انظر: أضواء البيان (٩/ ١٢-١٨)، وجامع البيان (٣٠/ ٣١٧-٣٢٠)، الجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ١١٩-١٢٢).

(٢) انظر: صحيح البخاري (٤٩٥٨) وغيره.

(٣) انظر: جامع البيان (٣٠/ ٣٢١، ٣٢٢)، وجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ١٢٤، ١٢٥)، وتفسير ابن كثير (١٤/ ٤٥٩، ٤٦٠)، ومحاسن التأويل (٧/ ٣٥٧-٣٥٩).

﴿ أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَمِ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعْنَا بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا نُطِيعُكَ وَأَسْجُدُ وَأُقْتَرِبُ ﴿١٩﴾ ﴾ .

أرأيت إن كذب هذا الناهي بالحق الذي جاء به رسول الله ﷺ، ﴿وَتَوَلَّى﴾ أعرض عن العمل الطيب، ألا يخشى الله؟! ﴿كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ﴾ عما يقول ويفعل ﴿لَنَسْفَعْنَا بِالنَّاصِيَةِ﴾ معنى السفع: القبض على الشيء وجذبه بشدة، والأخذ بالناصية هنا - وهي مقدم رأس الإنسان - مَثَلٌ لِلْقَهْرِ وَالْإِذْلَالِ والتعذيب والتكال ﴿نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ ناصية كاذبة في قولها، خاطئة في فعلها، والمعنى لصاحبها، فهو الموصوف بهذه الصفات، ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ والنادي: المجلس الذي يجتمع فيه الناس، أي: فليدع أهل مجلسه وعشيرته حين يُؤخذ من مقدم رأسه إلى النار، ﴿سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾ خزنة جهنم، الملائكة، ﴿كَلَّا لَا نُطِيعُكَ وَأَسْجُدُ وَأُقْتَرِبُ﴾ لا تطع هذا الطاغية فيما ينهاك عنه من المداومة على عبادة ربك، فاسجد وصلِّ حيث شئت، فإن الله يعصمك من الناس^(١)، واقترب من ربك بكثرة السجود له، قال رسول الله ﷺ: «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ، فَأَكْثَرُوا الدُّعَاءَ»^(٢)، وهذا عام في كل ناهٍ عن الخير، طاغٍ باغٍ، متجري على معصية الله ﷻ، وإن كانت بعض آيات السورة نزلت في أبي جهل.

* * *

آخر تفسير سورة «العلق»، والله الحمد

(١) انظر: المصدر السابق.

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (٤٨٢).

الجزء الثلاثون

سورة القدر

سورة القدر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ١
وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ٢
لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ٣
تَنْزِيلُ الْمَلَكِ وَالرُّوحِ فِيهَا ٤
يَأْذِنُ رَبِّهِمْ مِّنْ كُلِّ أَمْرٍ ٥
سَلَّمَ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ٥

سُورَةُ الْقَدْرِ

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾﴾ .

يخبر الله - جل وعلا- أنه أنزل القرآن ليلة القدر، وهي في رمضان، كما قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ [البقرة: ١٨٥]، في العشر الأواخر، وهي ليلة مباركة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبْرَكَةٍ﴾ [الدخان: ٣] فكان ابتداء إنزال القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ -الذي كُتب فيه مقادير كل شيء- إلى بيت العزة من السماء الدنيا، ثم نزل مفصلاً في ثلاث وعشرين سنة على رسول الله ﷺ، ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾ تعظيماً لشأنها وقدرها، ثم بين فضلها وعظمتها فقال: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ وفضيلة الزمان إنما تكون بكثرة ما يقع فيه من فضائل، فالعمل في هذه الليلة خير من العمل في ألف شهر ليس فيه ليلة القدر^(١).

* * *

(١) انظر: تفسير ابن كثير (١٤/٤٦٣-٤٦٧)، وتفسير القرطبي (٢٠/١٣٠-١٣٢)، وجامع البيان (٣٠/٣٢٧-٣٣٠).

﴿ نَزَّلَ الْمَلَكُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ۖ سَلَّمَ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ ۗ ﴾

تنزل الملائكة من السماء، ويحيطون بحلق العلم والذكر، وأما الروح فهو جبريل عليه السلام ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ بأمر ربهم، ﴿مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ بكل أمر قدره الله في تلك السنة إلى السنة التالية، ﴿سَلَّمَ هِيَ﴾ سالمة من كل شر؛ لكثرة الخير فيها، ﴿حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ حتى طلوع الفجر، من ليلتها^(١).

* * *

تم بحمد الله تفسير سورة «القدر»

(١) انظر: المصدر السابق.

سُورَةُ الْبَيِّنَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى
تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ١ رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً ٢ فِيهَا كُتُبٌ
قَيِّمَةٌ ٣ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ
الْبَيِّنَةُ ٤ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ
حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ٥
إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ
خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ٦ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ٧ جَزَاءُ هُمُ
عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ
فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ٨

سُورَةُ الْبَيِّنَةِ

﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفِكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ
الْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ ﴿٣﴾﴾.

أهل الكتاب، هم: اليهود والنصارى، والمشركون: عباد الأوثان والأصنام، والجميع كفار، والمعنى: لم يكن الذين كفروا من اليهود والنصارى والمشركين ﴿مُنْفِكِينَ﴾ أي: منتهين عن كفرهم وضلالهم، ﴿حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ الواضحة، ثم فسر تلك البينة فقال: ﴿رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ﴾ فالبينة هي رسول الله ﷺ الذي أرسله الله ليبين للناس الحق، ويعلمهم القرآن والسنة، ويخرجهم من ظلمات الجهل إلى نور العلم والهداية، فالرسول ﴿يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً﴾ يقرأ - عن ظهر قلب أي حفظاً - صحف القرآن المطهرة من الباطل، المحفوظة من الشياطين، فذكر القرآن بأحسن الذكر، وأثنى عليه بأفضل الثناء، ﴿فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ﴾ وهي سور القرآن، فكل سورة من سور القرآن كتاب قيم؛ لأن القرآن أخباره صدق، وأوامره كلها عدل، ليس فيه باطل ولا شك، كما قال ربنا: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ ﴿٤٢﴾ [فصلت] (١).

* * *

(١) انظر: تفسير الطبري (٣٠/٣٣٢، ٣٣٣)، وتفسير ابن كثير (١٤/ ٤٨٥-٤٨٦)، والجامع لأحكام القرآن (٢٠/١٣٩-١٤٢)، ومحاسن التأويل (٧/ ٣٦٦، ٣٦٧).

﴿وَمَا نَفَرَقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ ٤ ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ ٥ .

وما نفرق واختلف أهل الكتاب -اليهود والنصارى- ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ أي: البينة الواضحة، والمُعنى به رسول الله ﷺ كما ذكرنا، فالقرآن موافق لما في التوراة والإنجيل من الإخبار عن النبي ﷺ، وأنه سيبعث، فكانوا -اليهود والنصارى- مجتمعين على نبوته، فلما بعث ﷺ جحدوا نبوته وتفرقوا، فمنهم من كفر بغياً وحسداً، كقوله تعالى: ﴿وَمَا نَفَرَقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغِيًّا بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ١٤]، فكانت مخالفتهم للحق -بعد بلوغه إليهم- بسبب العناد والبغي، ومن أهل الكتاب من آمن به ﷺ، ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ﴾ ويظهر جُرم وعناد اليهود والنصارى أنهم ما أُمروا في القرآن إلا بما أُمروا به في التوراة والإنجيل من عبادة الله وحده.

﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ قاصدين بجميع أنواع العبادة وجه الله، ﴿حُنَفَاءَ﴾ مائلين باعدين عن الأديان كلها إلا الإسلام، ﴿وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ﴾ وخص الصلاة والزكاة من بين سائر العبادات لفضلها، فالذي يقيم الصلاة بحضور قلب وخشوع، وحضور هيئة المعبود رب العالمين، والمواظبة عليها خمس مرات في اليوم والليلة، وكذلك يخرج زكاة ماله إلى مستحقيها، يسهل عليه إقامة جميع ما شرعه الله تعالى (١).

(١) انظر: المصدر السابق.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ (٦) ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ (٧) ﴿جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ (٨).

يخبر الله -ﷻ- عن مآل الفجار الكفار من أهل الكتاب والمشركين المخالفين لشرع الله المُنزَّل على رسوله ﷺ أنهم يوم القيامة ﴿فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ ماكين فيها لا يخرجون منها ﴿أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ شر الخليقة لكفرهم بالله، بعد ما عرفوا الحق، وتبين لهم الهدى، خسروا الدنيا بمفارقتهم لها، وخسروا الآخرة بحرمانهم من الجنة ورؤية ربهم، وخلودهم في النار، ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ إن الذين آمنوا بالله ورسوله، وعملوا أعمالاً صالحة، خالصة لله ﴿أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ أفضل الخليقة، بمتابعة الحق عند معرفة الدليل، فحققوا لأنفسهم السعادة الأبدية، هؤلاء ﴿جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ جنات إقامة تجري فيها الأنهار من تحتهم، والأشجار والثمار من حولهم، لا انقطاع لهذا النعيم، ماكين فيه أبداً، ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ ورضاه سبحانه وتعالى عنهم أعلى من جميع أنواع النعيم المقيم في الجنة، ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ رضوا بما منحهم وأكرمهم به من عظيم الأجر والثواب، ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ هذا الجزاء الكبير ليس لكل أحد، إنما هو لمن خاف الله، وعلم أنه يراه، فعبده واتقاه كما أمره ربه وخالقه ومولاه ﷻ (١).

تم بحمد الله وفضله تفسير سورة «البينة»

(١) انظر: نفس المصدر.

الجزء الثلاثون

سورة الزلزلة

سورة الزلزلة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ١ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ٢ وَقَالَ
الْإِنْسَانُ مَا لَهَا ٣ يَوْمَئِذٍ تُخْبِرُهَا أَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ٥
يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ٦ فَمَنْ يَعْمَلْ
مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ٧ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ٨

سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ
الْإِنْسَانُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا ﴿٥﴾﴾.

إذا تحركت الأرض واهتزت هزًّا يسقط ويدك معه كل ما عليها، من جبال أو بناء وغيره، وذلك يوم القيامة، ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ أخرجت وقذفت الأرض موتاها وكنوزها، ﴿وَقَالَ الْإِنْسَانُ﴾ حين يرى هذه الأمور العظيمة، وهذا الفزع الرهيب ﴿مَا لَهَا﴾ كلمة تعجب، والمعنى: أي شيء حدث للأرض؟ ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ في هذا اليوم تُخبر عن عمل كل إنسان عمله عليها من خير أو شر، ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا﴾ وأن الله أمرها أن تخبر بما عمل عليها من خير أو شر^(١).

* * *

﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَنْ يَعْمَلْ
مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾﴾.

في يوم البعث يخرج الناس فرقًا وأصنافًا، ما بين شقي وسعيد، ومأمور به إلى الجنة، ومأمور به إلى النار، ﴿لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾ فهم في ذلك اليوم يروا أعمالهم التي عملوها من قبل، فيرى المحسن في الدنيا، المطيع لربه عمله، وما أعد الله له يومئذ من الكرامة على طاعته، ويرى المسيء العاصي لله عمله وجزاء عمله،

(١) انظر: تفسير ابن كثير (١٤ / ٤٩١، ٤٩٢)، وتيسير الكريم الرحمن (ص ٣٩٢)، وأضواء البيان (٩ / ٥٦-٥٨)، وجامع البيان (٣٠-٣٣٧-٣٣٩).

وما أعدّ الله له من الهوان والخزي في جهنم، على معصيته لله تعالى، ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ ومن يعمل وزن نملة من الأعمال البر والإحسان - وهو مؤمن، ولوجه الله - ما يزن وزن نملة يرى ثواب ذلك العمل هناك في الآخرة، ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ ومن يعمل وزن نملة من أعمال الشر، يرى ذلك في الآخرة، فالآيات غاية في الترغيب في عمل الخير ولو كان قليلاً^(١)، كما قال رسول الله ﷺ: «لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهِ طَلْقٍ»^(٢)، ومعنى طلق: منبسطةً مبتسماً، وغاية في الترهيب من عمل الشر، ولو كان حقيراً، قال رسول الله ﷺ: «دَخَلَتْ امْرَأَةٌ النَّارَ فِي هِرَّةٍ رَبَطَتْهَا، فَلَمْ تُطْعِمْهَا، وَلَمْ تَدْعُهَا تَأْكُلْ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ»^(٣).

* * *

آخر تفسير سورة «الزلزلة»

ولله الحمد رب العالمين

(١) انظر: المصدر السابق.

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٢٦) وغيره.

(٣) أخرجه البخاري (٣٣١٨).

الجزء الثالثون

سورة العاديات

سورة العاديات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ١
فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ٢
فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ٣
فَأَثَرُنَّ بِهِ نَقْعًا ٤
فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ٥
إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ٦
وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ٧
وَإِنَّهُ وَلِحَبِّ
الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ٨
* أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعِثَ رَمًا فِي الْقُبُورِ ٩
وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ١٠
إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ١١

سُورَةُ الْعَادِيَاتِ

﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ۝١﴾ فَأَلْمُورِبَاتِ قَدْحًا ۝٢﴾ فَأَلْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ۝٣﴾ فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا ۝٤﴾ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ۝٥﴾ .

العاديات: هي الخيل. والضبح، هو: الصوت الذي يُسمع من الخيل عندما تجري، أقسم الله بهذا الحيوان؛ لأنه من أكرم البهائم، وهو الذي يحصل به العز والنصر على الأعداء، فقال: ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾ والخيل حين تجري جرياً سريعاً نحو العدو، حتى يسمع صوت أنفاسها، ﴿فَأَلْمُورِبَاتِ قَدْحًا﴾ وأقسم بها حين توقد بحوافرها النار، وذلك إذا ضربت الحجارة بحوافرها، ﴿فَأَلْمُغِيرَاتِ صُبْحًا﴾ التي تُغير على الأعداء في الصباح في سبيل الله، يُقال: أغار على العدو؛ إذا هجم عليه، وفي الغالب تكون الإغارة على العدو وقت الصباح؛ لأنه وقت غفلة الناس، ﴿فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا﴾ يعني: الخيل تثير الغبار بحوافرها حين تجري، ﴿فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا﴾ فوسطن الخيل بفرسانها جمع العدو الذين أغاروا عليهم، فأقسم الله تعالى بهذا كله على حال الإنسان وجوده لنعم ربه^(١)، فقال:

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ۝٦﴾ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝٧﴾ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ۝٨﴾ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعِثَ رَمَاهُ فِي الْقُبُورِ ۝٩﴾ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ۝١٠﴾ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ۝١١﴾ .

(١) انظر: جامع البيان (٣٠/٣٤٥-٣٥١)، وبدائع التفسير (٥/٢٩٧-٣٠٠)، وتفسير القرطبي

(٢٠/١٥٤-١٦٠)، وتفسير ابن كثير (١٤/٤٩٨-٥٠٠)، ومحاسن التأويل (٧/٣٧٢-

إن الإنسان لكفور، جحود يجحد نعم ربه، ولا يشكرها، أي: لا يستعملها فيما يجب عليه؛ ليتوصل بها إلى رضا الله، ﴿وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾ وإنه على هذا الجحود ومنع الخير لشهيد، إن أنكر بلسانه أشهد ربه عليه حاله، ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ وإنه لشديد المحبة للمال، ولذلك ييخل به، ولا ينفقه في سبل الخير، ثم يقول سبحانه وتعالى مزهداً في الدنيا، ومرغباً في الآخرة، ومنبهاً على ما هو كائن بعد هذه الحياة، وما يستقبله الإنسان من أهوال، ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعِثَ رَمًا فِي الْقُبُورِ﴾ إذا بعث وانتشر ما في القبور من أموات، ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾ وأبرز ما في القلوب من نيات واعتقادات، وما كانوا يسرون في نفوسهم من خير وشر، ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾ عالم بأسرارهم وضمائرهم وأعمالهم، وسيجازيهم على ذلك^(١).

* * *

تم بحمد الله تفسير سورة «العاديات»

(١) انظر: المصدر السابق.

الجزء الثلاثون

سورة القارعة

سورة القارعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَلْقَارِعَةُ ١ مَا الْقَارِعَةُ ٢ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ٣ يَوْمَ
يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ٤ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ
الْمَنْفُوشِ ٥ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ
رَاضِيَةٍ ٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ٨ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ٩
وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ ١٠ نَارٌ حَامِيَةٌ ١١

سُورَةُ الْقَارِعَةِ

﴿الْقَارِعَةُ ١﴾ مَا الْقَارِعَةُ ٢﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ٣﴾ يَوْمَ
يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ٤﴿ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ
الْمَنْفُوشِ ٥﴾.

القارعة من أسماء يوم القيامة، ويوم القيامة له أسماء كثيرة، ومعلوم أن الشيء إذا عظم شأنه كثرت أسماءه، ولكل اسم من أسماء القيامة معنى خاص به، يختلف عن معاني الأسماء الأخر.

وقوله تعالى: ﴿الْقَارِعَةُ﴾ القرع، هو: الضرب بشدة بحيث يحصل منه صوت شديد، وهي القيامة سُميت بذلك؛ لأنها تفرزع القلوب والأسماع، لما يحدث من تغير حال العالم كله، فالسما تنشق، والشمس تُكور، والنجوم تتناثر، والأرض تُزلزل وتبديل، والجبال تُدك وتُنسف، ولذلك قال: ﴿مَا الْقَارِعَةُ﴾ استفهام يُقصد به التعظيم والتفخيم لشأنها، ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ﴾ وما أعلمك -يا رسول الله- أي شيء القارعة، وما يتبعها من أهوال؟ ثم بين جلَّ جلاله بعض هذه الأهوال، فقال: ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ يوم يكون الناس فيه كالفراش المنتشر هنا وهناك من الاضطراب والحيرة، ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾ وتكون الجبال كالصوف المنفوش لضعفه، وتفرَّق أجزائه، وتطيره في الجوّ، ومن المعلوم أن هذا اليوم تبدئ في الحياة الآخرة، وفيه تعرف مقادير الأعمال، وجزاء كل إنسان^(١).

(١) انظر: أضواء البيان (٩/ ٧٠-٧٢)، وجامع البيان (٣٠/ ٣٥٨، ٣٥٩)، وتفسير القرطبي (٢٠/ ١٦٤، ١٦٥)، ومحاسن التأويل (٧/ ٣٧٦، ٣٧٧).

لذلك قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ۖ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ۖ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ ۖ ﴿١٠﴾ نَارُ حَامِيَةٍ ﴿١١﴾ .

فأما من ثقلت موازين حسناته على سيئاته، ﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴾ في عيشة قد رضى بها في الجنة، ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴾ أي: خف وزن حسناته، ﴿ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴾ الهاوية: النار، فهي أمه ومأواه ومقره، ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ ﴾ هذا تعظيم لأمرها، ثم فسره بقوله: ﴿ نَارُ حَامِيَةٍ ﴾ حارة شديدة الحرارة، أجازنا الله منها برحمته وفضله وكرمه (١).

آخر تفسير سورة «القارعة»، والله الحمد

الجزء الثلاثون

سورة التكاثر

سُورَةُ التَّكْوِيْنِ

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

أَلْهٰكُمْ التَّكْوِيْنُ ١ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ٢ كَلَّا سَوْفَ تَعْمَوْنَ ٣ ثُمَّ
كَلَّا سَوْفَ تَعْمَوْنَ ٤ كَلَّا لَوْ تَعْمَوْنَ عِلْمَ الْيَقِيْنِ ٥ لَتَرُونَ الْبَلْجِيْمَ ٦
ثُمَّ لَتَرُونَهَا عِيْنَ الْيَقِيْنِ ٧ ثُمَّ لَتَسْتَلْنَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيْمِ ٨

سُورَةُ التَّكْوِيْنِ

﴿أَلْهَكُمُ التَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ۝٢ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣﴾
 ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾.

شغلكم التباهي والفخر بكثرة الأموال والأولاد، وشرف الآباء والأجداد، وغير ذلك من أمور الدنيا، التي تصرف القلب عن الجهد والاجتهاد في العمل للأخرة، ﴿حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ حتى هلكتم و متم وصرتم إلى المقابر فدفنتم فيها، فالميت يأتي إلى القبر كالزائر؛ لأن وجوده فيه مؤقتاً، وقد حذر ربنا -جلَّ وعلا- من الانشغال بالدنيا، كقوله: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَنْقُونَ﴾ [الأَنْعَام: ٣٢]، وقوله: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالِكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الْمَنَافِقُونَ]، وغيرها من الآيات.

﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ وهذا تهديد ووعيد شديد؛ لأن العرب إذا أرادت التخليط والتخويف كرروا الكلمة مرتين، وتنبه على أن العاقل لا ينبغي له أن تكون الدنيا أكبر همه^(١).

(١) انظر: تفسير ابن كثير (١٤ / ٥٠٧-٥٠٩)، وأضواء البيان (٩ / ٧٦، ٧٧)، ومحاسن التأويل (٧ / ٣٨٩-٣٨٧)، وتيسير الكريم الرحمن (ص ٩٣٣، ٩٣٤)، وتفسير الطبري (٣٠ / ٣٦٢-٣٦٥).

﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴿٧﴾ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴿٨﴾ ﴾ .

أي: لو علمتم علمًا حقيقيًا أن الله باعثكم يوم القيامة من قبوركم للحساب، لما ألهاكم التكاثر عن طلب الآخرة، والعمل لها بإخلاص وصدق، ولسارعتنم إلى عبادته، ولتركتنم الدنيا إشفاقًا على أنفسكم من العقوبة، ﴿ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴾ لترون النار يوم القيامة بأبصاركم، ﴿ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴾ قيل: هذا الكافر يرى النار رؤيةً يتيقن أنه سيلقى فيها، كقوله تعالى: ﴿ وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا ﴾ ﴿٥٣﴾ [الكهف]، ﴿ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴾ أي: سوف تُسألون يوم القيامة عن النعيم الذي منَّ الله عليكم به - من صحة، ومال، وأولاد، وغير ذلك مما يصعب عده - هل قابلتم هذه النعم بالشكر، وأداء ما فرض الله عليكم، أم ألهاكم التكاثر بها عن شكرها؟^(١).

* * *

تم بفضل الله تفسير سورة «التكاثر»

(١) المصدر السابق.

الجزء الثالثون

سورة العَصْرِ

سُورَةُ الْعَصْرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْعَصْرِ ١
إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ٢
إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ٣

سُورَةُ الْعَصْرِ

﴿وَالْعَصْرِ ١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ .

العصر: اسم للدهر كله - الليل والنهار - وليس المقصود بالعصر الوقت الذي قبل المغرب.

أقسم الله تعالى بالعصر - وهو زمن الأعمال الرباحة والخسارة - على أن كل إنسان ﴿لَفِي خُسْرٍ﴾ خسارة وهلاك، إلا من اتصف بأربع صفات: الإيمان، والعمل الصالح، والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر.

* * *

﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا
بِالصَّبْرِ﴾ .

آمنوا بالله ورسوله ﷺ، وهو التصديق بكل ما جاء في القرآن، وأخبرنا به نبينا ﷺ، وهذا يحتاج إلى علم.

﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ والعمل الصالح يشمل جميع أعمال الخير والبر، وأعظم الأعمال على الإطلاق الإقبال على القرآن وتفهمه وتدبره، واستخراج كنوزه، بحضور مجالس العلم، وقراءة كتب تفسير القرآن الصحيحة، وعلوم القرآن، فالقرآن كفيل بإصلاح دنياك وآخرتك، إذا كانت النية سالحة.

﴿وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ﴾ أي: يوصي بعضهم بعضًا بالحق، وهو الإيمان والعمل الصالح، وحث بعضهم بعضًا على ذلك.

﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ وأوصى بعضهم بعضًا بالصبر على الطاعة، فلا يمل ولا يفتر عن أداء الواجبات، والصبر عن المعصية فلا يقربها، والصبر على أقدار الله، وإن كانت مؤلمة.

واعلم أن رأس مال الإنسان عمره، كُلف بأعمال يعملها فترة حياته، وهذه الأعمال كالتجارة، إن كانت في خير ربح، وإن كانت في شر خسر، ويدل لهذا المعنى قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجْرَةٍ نُجِيبُكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكِنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾﴾ [الصف] (١).

* * *

تم بحمد الله تفسير سورة «العصر»

(١) انظر: جامع البيان (٣٠/ ٣٧١-٣٧٣)، وبدائع التفسير (٥/ ٣٢٥-٣٣١)، وتفسير ابن كثير

(٥١٦، ٥١٧)، وأضواء البيان (٩/ ٨٧-٩٨).

الجزء الثلاثون

سورة الهَمزة

سورة الهَمزة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَيَلُّ لِكُلِّ هَمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ١ الَّذِي جَمَعَ مَا لَا وَعَدَّدَهُ ٢
يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ٣ كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ٤
وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ٥ نَارُ اللَّهِ الْمَوْقَدَةُ ٦ الَّتِي تَطَّلِعُ
عَلَى الْأَفْنَدَةِ ٧ إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ ٨ فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ ٩

سُورَةُ الْهُمَزَةِ

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ﴿٢﴾ يُحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ﴿٣﴾﴾

الهمز: باليد والعين والإشارة، واللمز: باللسان، والمعنى: وعيد وعذاب شديد للذي يغتتاب الناس، ويطعن فيهم، ويصغرهم ويحقر من شأنهم بالهمز واللمز، ومن صفات هذا الطعان المغتاب جمع المال، قال: ﴿الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ﴾ الذي جمع مالا وأحصى عدده، ولم ينفقه في طاعة الله، ولم يؤد حق الله، شحاً وبخلاً، ﴿يُحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾ يحسب بجهله أن ماله الذي جمعه وأحصاه وبخل بإنفاقه، يتركه خالداً في الدنيا، فيبقى حياً لا يموت^(١).

* * *

﴿كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ اللَّهِ الْمَوْقَدَةُ ﴿٦﴾ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ ﴿٨﴾ فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ ﴿٩﴾﴾

ليس الأمر كما تصور هذا الجاهل الهماز اللماز، بل هو هالك ومعذب على معاصيه، قال: ﴿لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ﴾ ليقذفن يوم القيامة في الحطمة، والحطمة: اسم من أسماء النار، وقيل: إنها سُميت بذلك؛ لأنها تُحطَمُ مِنَ الْقِيَامَةِ فِيهَا، ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ﴾ تهويل لأمرها، ثم فسر ما هي، فقال: ﴿نَارُ اللَّهِ الْمَوْقَدَةُ﴾ هي النار التي تُنسب إلى الله؛ لأنه هو مُنشئها وخالقها، ولا يعلم

(١) انظر: تفسير الطبري (٣٧٤-٣٧٧)، وتفسير ابن كثير (١٤ / ٥١٨، ٥١٩)، والجامع لأحكام القرآن (٢٠ / ١٨١-١٨٣).

شدة سعيها إلا هو سبحانه، قال: ﴿وَقُوْدُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [البقرة: ٢٤]،
 ﴿الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ﴾ تحرق كل شيء في الأجساد، حتى تطلع إلى القلوب،
 ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ﴾ أي: مغلقة، ﴿فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾ في أعمدة ممتدة طويلة،
 فهم معذبون في هذه الأعمدة في جهنم، لا يخرجون منها، نسأل الله العفو والنجاة
 من عذاب النار^(١).

* * *

آخر تفسير سورة «الهمزة»

ولله الحمد والمنة

(١) انظر: المصدر السابق.

الجزء الثلاثون

سورة الفيل

سورة الفيل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ١ أَلَمْ يَجْعَلْ
كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ٣
تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ٥

سُورَةُ الْفِيلِ

﴿الَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾﴾.

الخطاب للنبي ﷺ، والمعنى: أما رأيت قدرة الله وعظمته، وما فعله بأصحاب الفيل - وهم قوم من الحبشة نصارى، رئيسهم أبرهة - كانوا قد عزموا على هدم الكعبة، ومحو أثرها من الوجود، فأبادهم الله، وخيب سعيهم، قال: ﴿الَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ﴾ وجعل مكرهم وسعيهم لتخريب الكعبة في تضييع وإبطال، بأن دمرهم أشد تدمير، ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ وأرسل عليهم طيرًا في جماعات متفرقة، يتبع بعضها بعضًا من نواح شتى، ﴿تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ﴾ ترميهم - أي جماعات الطير - بحجارة من طين متحجرة، ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ جعل الله أصحاب الفيل كورق الزرع إذا أكلته البهائم، فرد الله كيدهم، وحمى الكعبة من شرهم، وهذا في السنة التي ولد فيها رسول الله ﷺ (١).

* * *

تم والله الحمد تفسير سورة «الفيل»

(١) انظر: جامع البيان (٣٠/٣٨١-٣٩٢)، ومحاسن التأويل (٧/٣٨٦، ٣٨٧)، وتفسير ابن كثير (١٤/٥٢١-٥٣١)، وأضواء البيان (٩/١٠٣-١٠٨).

الجزء الثلاثون

سورة قريش

سورة قريش

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ١
إِلَيْهِمْ رِحْلَةَ الْشِتَاءِ وَالصَّيْفِ ٢
فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ٣
الَّذِي أَطْعَمَهُمْ
مِّنْ جُوعٍ وَءَامَنَهُمْ مِّنْ خَوْفٍ ٤

سُورَةُ قُرَيْشٍ

﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِذْ لَفِيهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَءَامَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ﴿٤﴾﴾.

الإيلاف: من الإلف والتعود، وكان لقريش رحلة في الشتاء لليمن، ورحلة في الصيف للشام؛ لأجل التجارة والمكاسب، ولولا هاتان الرحلتان ما تمت مصالحتهم ولا تجارتهم، والمعنى: أن الله ﷻ جعلهم يألّفون هاتين الرحلتين، ويسّرهما لهما، وهذه نعم عظيمة، لذلك أرشدهم سبحانه إلى شكرها، فقال: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾ أي: فليوحدوا الله، ويعبدوه وحده، ويتركوا عبادة الأوثان التي وضعوها حول الكعبة، فعبدوها وتركوا عبادة الله الواحد الأحد، وهو رب البيت ورب كل شيء، ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ﴾ أطعمهم بعد جوع، بسبب هاتين الرحلتين، ﴿وَأَمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ من عدو يخوفهم؛ فسعة الرزق، والأمن من الخوف، من أعظم النعم التي يجب على العبد شكرها^(١).

* * *

آخر تفسير سورة «قريش»، والله الحمد

(١) انظر: جامع البيان (٣٠/٣٩٣-٣٩٩)، ومحاسن التاويل (٧/٣٩٣، ٣٩٤)، وتفسير ابن كثير

الجزء الثلاثون

سورة الماعون

سورة الماعون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ ۚ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ
الْيَتِيمَ ۚ وَلَا يُخِصُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ ۚ فَوَيْلٌ
لِّلْمُصَلِّينَ ۚ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۚ
الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ۚ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ۚ

سُورَةُ الْمَاعُونِ

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالذِّينِ ﴿١﴾ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿٣﴾﴾.

الخطاب للنبي ﷺ، ولكل عاقل، والمعنى: هل عرفت الذي يكذب بثواب الله وعقابه، فلا يُطيعه في أمره، ولا ينتهي عما نهى عنه، ثم يبين جلَّ ذكره صفات هذا المكذب، فقال: ﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ﴾ يقهر اليتيم، ويدفعه ولا يرحمه، ﴿وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾ ولا يحث غيره على إطعام المحتاج إلى الطعام من الفقراء والمساكين، بل لقسوة قلبه يبخل أن يسعى لإغاثة البؤساء^(١).

* * *

﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ الَّذِينَ هُمْ يَرَاءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴿٧﴾﴾.

هذا وعيد شديد للمصلين، الذين يسهون عن أداء الصلاة، والمحافظة عليها، وإتمام ركوعها وسجودها، وليس المقصود بالسهو، السهو في الصلاة، فهذا لم يسلم منه أحد.

فهذا الوعيد الأکید لمن صلى، ولم يهتم بإقامة الصلاة، كما أمر الله تعالى، فكيف بعقاب من ترك الصلاة؟!

(١) انظر: جامع البيان (٣٠/٤٠٠، ٤٠١)، وتفسير ابن كثير (١٤/٥٣٥، ٥٣٦)، ومحاسن التأويل (٣٩٥/٧).

﴿الَّذِينَ هُمْ يَرَاءُونَ﴾ الناس بصلاتهم إذا صلوا؛ لأنهم لا يصلون رغبة في الثواب، ولا خوفاً من العقاب، إنما يريدون المدح والثناء على أعمالهم، وهذا هو الرياء، ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ يمنعون ويتركون معاونة الناس، وأصل المعاون من كل شيء منفعته، فهم يمنعون المنافع التي يتتفع بها الناس بعضهم من بعض، من مال وغيره^(١).

* * *

آخر تفسير سورة «الماعون»، والله الحمد والمنة

(١) انظر: المصدر السابق.

الجزء الثلاثون

سورة الكوثر

سورة الكوثر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ ٢

إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ٣

سُورَةُ الْكَوْثَرِ

﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَحْسِرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿٣﴾﴾

يقول الله - تبارك وتعالى - لنبيه ﷺ: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ أي: الخير الكثير، ومن هذا الخير نهر الكوثر الذي في الجنة، حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف، طينه مسك^(١)، ماؤه أشد بياضًا من اللبن، وأحلى من العسل^(٢)، آينته كعدد النجوم^(٣)، ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَحْسِرْ﴾ أي: كما أعطاك الله الخير الكثير في الدنيا والآخرة، ومنه ذلك النهر، فاجعل صلاتك كلها لربك خالصًا، وكذلك نحرك أي: ذبحك كله لله، وهذا من الربط بين النعم وشكرها، فكل نعمة يلزمها شكر، وكل شكر على نعمة هو قيد لها، أي: فلا تذهب ولا تزول ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ إنه مبغضك الذي يكرهك - يارسول الله - ويكره ما جئت به من الهدى والحق هو الأبتَر، والبتَر هو: القطع، وكانوا في الجاهلية إذا مات أبناء الرجل الذكور قالوا: أبتَر، فلما مات أبناء رسول الله ﷺ قالوا: بُتِر محمد، فأنزل الله: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾، فأبقى الله - تعالى - ذكْرَه ورفع قدره، وأعزه بنصر دينه، وأوجب شرعته على العباد إلى أن تقوم الساعة، وصلى الله عليه وملائكته، وأمر المؤمنين بالصلاة عليه، وغير ذلك الكثير، وهل علمنا أن أحدًا من البشر رفع ذكْرَه كما رفع ذكر نبينا ﷺ؟!^(٤).

تم بحمد الله تفسير سورة «الكوثر»

(١) انظر: صحيح البخاري (٤٩٦٤، ٦٥٨١، ٦٢١٠).

(٢) انظر: مسند الإمام أحمد (٣/٢٢٠) وغيره.

(٣) انظر: صحيح البخاري (٤٩٦٥).

(٤) انظر: تفسير ابن كثير (١٤/٥٤٢-٥٥١)، وجامع البيان (٣٠/٤١٤-٤٢٨)، وأضواء البيان

(١٣١-١٢٦/٩).

الجزء الثالثون

سورة الكافرون

سورة الكافرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ١ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ٢
وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ٣ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ ٤
وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ٦

سُورَةُ الْكَافِرُونَ

﴿قُلْ يَتَّيَبُهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مِّمَّنْ تَعْبُدُونَ ﴿٤﴾ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾﴾.

أمر الله تعالى رسوله ﷺ في هذه السورة بالبراءة من دين المشركين، فقال: ﴿قُلْ يَتَّيَبُهَا الْكَافِرُونَ﴾ أي: قل للكافرين، والخطاب لكفار قريش، والآي تشمل كل كافر على وجه الأرض، ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ لا أعبد الأصنام والأوثان التي تعبدوها - في الحال، ولا في المستقبل -، ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ ولا أنتم عابدون ما أعبد، وهو: الله الواحد الأحد، لا شريك له، ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مِّمَّنْ تَعْبُدُونَ﴾ ولا أعبد ما عبدتم - في الماضي - من الآلهة المزعومة، وإنما أعبد الله على الوجه الذي يحبه ويرضاه، ولهذا قال: ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ أي: ولا أنتم تقتدون بأوامر الله وشرعه في عبادته، بل اخترعتم شيئاً من تلقاء أنفسكم لم يأذن به الله، فلا معبود إلا الله - تبارك وتعالى -، ولا طريق لعبادته عبادة صحيحة إلا باتباع ما جاء به رسول الله ﷺ، ولهذا قال: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ﴾ أي: الكفر، وقد ختم الله على قلوبكم، فلن تتركوه، ﴿وَلِيَ دِينِ﴾ ولي دين الذي أنا عليه، ولن أتركه أبداً، والآية ليس فيها تقريرهم على دين الكفر - معاذ الله من هذا الزعم الباطل - إنما الآية براءته ﷺ من دين الكفار، وقيل: التهديد والوعيد^(١).

آخر تفسير سورة «الكافرون»، والحمد لله رب العالمين

(١) انظر: جامع البيان (٣٠/٤٢٩-٤٣١)، وتفسير ابن كثير (١٤/٥٥٤-٥٥٦)، وبدائع التفسير

(٥/٣٤٥-٣٥٥)، وأضواء البيان (٩/١٣٢-١٣٦).

الجزء الثلاثون

سورة النصر

سورة النصر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝
وَرَأَيْتَ النَّاسَ
يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝
فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ
وَاسْتَغْفِرْ لَهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ۝

سُورَةُ النَّصْرِ

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ
فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا
﴿٣﴾﴾

هذه السورة فيها بشارة بالفتح والنصر لرسول الله ﷺ والمسلمين، وبشارة بدخول الناس في دين الله، وإشارة إلى اقتراب أجله ﷺ، والمعنى: إذا جاء نصر الله -يا رسول الله- على قومك من قريش، ﴿وَالْفَتْحُ﴾ فتح مكة، ﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ﴾ من العرب وقبائلها عند فتح الله لك البلاد، ونصرك على أعدائك ﴿يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ جماعات، فوجًا بعد فوج، فإن أحياء العرب كانت تنتظر ولا يدخلون الإسلام، يقولون: إن ظهر على قومه فهو نبي، فلما فتح الله على رسوله مكة، كانوا يسلمون أفواجًا^(١).

﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ فنزهه ربك وعظمه، وهذا التسبيح والتنزيه والتعظيم يكون بحمده، والثناء عليه؛ لأنه أتم نعمته عليك بمجيء النصر لك وللمؤمنين ولدينك، ومجيء الفتح العام على المسلمين من الله، وهذه نعمة تستوجب الشكر، والحمد لله تبارك وتعالى، والآية علامة على اقتراب أجل رسول الله ﷺ، كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما^(٢) أنه لما سئل عن هذه الآية، قال: هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه له، قال: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ فذلك علامة أجلك.

(١) انظر: صحيح البخاري (٤٣٠٢).

(٢) انظر: صحيح البخاري (٤٩٧٠، ٤٢٩٤).

﴿وَأَسْتَغْفِرُهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ واطلب منه المغفرة، فهو الذي يقبل التوبة من عباده، وإذا كان رسول الله ﷺ وهو المعصوم يؤمر بالاستغفار، فما الظن بغيره؟ وكان رسول الله ﷺ بعد نزول هذه الآية يكثُر أن يقول في ركوعه وسجوده «سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي»^(١). وكان أيضًا يكثُر أن يقول قبل أن يموت: «سبحانك اللهم وبحمدك، أستغفرك، وأتوب إليك»^{(٢)(٣)}.

* * *

تم بحمد الله ومنه تفسير سورة «النصر»

(١) أخرجه البخاري (٤٩٦٨)، ومسلم (٤٨٤).

(٢) أخرجه مسلم (٢١٨-٤٩٤) وغيره.

(٣) انظر: جامع البيان (٣٠/٤٣٢-٤٣٧)، وتيسير الكريم الرحمن (ص ٩٣٦)، وأضواء البيان (١٣٧/٩-١٤٢).

الجزء الثلاثون

سورة المسد

سورة المسد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ١ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ٢
سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ٣ وَأَمْرَاتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ٤
فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ٥

سُورَةُ الْمَسَدِ

﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ، وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣﴾.

التب: الخسارة، والهلاك، والمعنى: أن أبا لهب - وهو عم النبي ﷺ - كان شديد العداوة والكرهية والأذية للنبي ﷺ - أهلك نفسه بفساد اعتقاده وكفره، وسوء أفعاله، فذمه الله بهذا الدم العظيم، فهو خزي له في الدنيا والآخرة، فقال: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ خسرت يداه وشقي، وخاب سعيه وعمله، ﴿وَتَبَّ﴾ وتحقق خسارته وهلاكه، ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ، وَمَا كَسَبَ﴾ ما دفع عنه عذاب الله ما عنده من المال، ولا ما كسب من مال وجاه وولد، ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ سيدخل نارًا عظيمة ذات اشتعال، ولهب واحترق شديد.

* * *

﴿وَأُمَّرَاتُهُ، حَمَالَةَ الْحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝٥﴾.

وستدخل معه النار زوجته - وهي أم جميل - لأنها كانت في الدنيا عونًا لزوجها على كفره، وجحوده وعناده، وأذيته لرسول الله ﷺ، فكانت تحمل الشوك وتضعه في طريق رسول الله ﷺ^(١)، ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ في عنقها - رقبته - حبل من ليف تساق به إلى نار جهنم.

(١) وهذا اختيار الطبري وابن كثير لتفسير الآية.

قال العلماء: في هذه السورة معجزة ظاهرة، ودليل واضح على صدق نبوته ﷺ؛ فقد نزلت السورة وفيها إخبار الله تعالى عن أبي لهب وزوجته بالشقاء والعذاب، وعدم الإيمان، والموت على الكفر، ودخولهما النار، ما أخبر الله به في القرآن، فما آمن أبو لهب، ولا زوجته، سبحانه الله العليم الخبير الحكيم^(١).

* * *

آخر تفسير سورة «المسد»، والله الحمد

(١) انظر: تفسير الطبري (٣٠/٤٣٨-٤٤٥)، وتفسير ابن كثير (١٤/٥٦٥-٥٧٠)، وأضواء البيان (٩/١٤٣-١٤٦).

الجزء الثالثون

سورة الإخلاص

سورة الإخلاص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ١
اللَّهُ الصَّمَدُ ٢
لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ٣
وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ٤

سُورَةُ الْإِخْلَاصِ

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾

قل قولاً صادقاً جازماً ليس فيه شك، أن الله واحد، لا شبيه له، ولا نظير، وليس له صاحبة، ولا ولد ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ أي: السيد الذي لا أحد فوقه، والمنتاهي في السؤدد -أي: السيادة- فهو سبحانه الأحد المنفرد بالكمال والجمال في الصفات والأفعال، له الأسماء الحسنى، والصفات العُلا، فهو العليم الذي كمل علمه، والرحيم الذي وسعت رحمته كل شيء، والكريم الذي كمل له جميع معاني الكرم، وهكذا في جميع صفاته، فالصمد: الذي يلجأ إليه الخلق جميعاً في حاجاتهم، ولا يحتاج هو إلى أحد، ﴿لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ لكمال غناه، ولا استغنائه عن جميع المخلوقات، ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ لم يكن له ولن يكون له مثل، ولا ند، لا في أسمائه، ولا في صفاته ولا في أفعاله، فهو سبحانه كما أخبر عن نفسه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] (١).

* * *

تم بحمد الله تبارك وتعالى تفسير سورة «الإخلاص»

(١) انظر: جامع البيان (٣٠/٤٤٦-٤٥٣)، وتفسير ابن كثير (١٤/٥٨٤-٥٨٧)، وأضواء البيان (٩/١٤٧-١٥٦)، وتيسير الكريم الرحمن (ص ٩٣٧).

الجزء الثلاثون

سورة الفلق

سورة الفلق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ١ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ٢ وَمِنْ شَرِّ
غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ٣ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ٤
وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ٥

سُورَةُ الْفَلَقِ

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾﴾.

أعوذ: ألتجئ وأعتصم، وأتحرز، أي: الهروب من شيء تخافه إلى من يعصمك منه، والمعنى: قل متعوذًا ﴿بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ بالرب تعالى الذي فلق الصبح، أي: يفلق ظلمة الليل بضياء الصبح، شيئًا فشيئًا، حتى تذهب الظلمة كلها، فإن الفلق: هو الصبح الذي هو بداية ظهور النور، ﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ من شر جميع المخلوقات من الإنس، والجن، والحيوانات، فيستعاذ بالله من شر كل ذي شر، ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ الغاسق: الليل، وقب: أي: دخل، والمعنى: فالتجأ إلى الله، واعتصم به، أن يعيدك من الشرور، التي تكون مع دخول الليل، من انتشار الشياطين^(١)، واللصوص وكل ما يظهر من شر في الليل.

﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ أي: السواحر والسحرة، أي: واستعد بالله من شر السواحر اللاتي يعقدن عقدًا في خيوط، وينفثن عليها، حتى يتم ما يرون من السحر، وذلك بالاستعانة بالأرواح الخبيثة -الشياطين- والنفث: هو النفخ مع ريق، والسحر يكون من الرجال والنساء، وإن كان ظاهر الآية أنه يتم بواسطة النساء السواحر.

(١) انظر: صحيح البخاري (٣٢٨٠)، ومسلم (٢٠١٢).

﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ والحاسد: هو الذي يتمنى زوال النعمة عن المحسود، والمعنى: فاستعد بالله تعالى من شر نفس هذا الحاسد الخبيثة، ومن شر عينه، فإذا خطر على باله وفكر في المحسود - وإن لم يره - انبعثت نار الحسد من نفسه، وتوجهت إلى المحسود، فيتأذى المحسود، إن لم يستعد بالله، ويتحصن به، ويحافظ على الأذكار والدعوات^(١).

* * *

آخر تفسير سورة «الفلق» ولله الحمد رب العالمين

(١) انظر: جامع البيان (٣٠/٤٥٤-٤٦٠)، وأضواء البيان (٩/١٥٨-١٦٣)، وتيسير الكريم الرحمن (ص ٩٣٧)، وبدائع الفوائد لابن القيم (٢/١٧١)، وبدائع التفسير (٥/٣٧٣) وما بعدها.

الجزء الثالثون

سورة الناس

سورة الناس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ١
مَلِكِ النَّاسِ ٢
إِلَهِ النَّاسِ ٣
مِنَ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ٤
الَّذِي يُوسِّسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ٥
مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّاسِ ٦

سُورَةُ النَّاسِ

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَهِ النَّاسِ ﴿٣﴾
مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ
﴿٥﴾ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴿٦﴾﴾.

أي: ألتجئ وأعتصم ﴿بِرَبِّ النَّاسِ﴾ الذي خلقهم، ورزقهم، والذي يرببهم بقدرته وحكمته، ومشيتته وتدييره، والله تعالى رب كل شيء، ولكن إضافته هنا للناس إشعار بمزيد اختصاص ورعاية لعبده، الذي أمره أن يستعيذ به من عدوه، ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾ يتصرف فيهم بما شاء، فالكل مملوك له، لا مالك لهم غيره -تبارك وتعالى-، ﴿إِلَهِ النَّاسِ﴾ معبودهم، فلا يستحق العبادة غيره، وما خلقهم إلا من أجل عبادته وحده، قال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

فإذا كان الله ﷻ وحده هو ربنا، وملكنا وإلهنا، فينبغي أن نلجأ إليه وحده أن يعصمنا، ويُنجينا ﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ﴾ والوسوسة، كالوشوشة، فنستعيذ بالله من شر وساوس الشيطان، ﴿الْخَنَّاسِ﴾ الذي يتأخر، فمن عادته أن يخنس ويتأخر، إذا ذكر العبد ربه.

﴿الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ إذا غفلوا عن ذكر الله، فيزين لهم الباطل، ويقبح لهم الحق، فإذا ذكروا الله خنس، فإن القلب يكون فارغاً من الشر والمعصية، فيوسوس إليه الشيطان، ويزين له الذنب، ويؤمّنه ويرغبه فيه، حتى يصير شهوة، فينسى ضرر الذنب، ويغفل عن سوء عاقبته، فلا يرى إلا صورة المعصية، والتمتع بها فقط، فأصل كل معصية إنما هي الوسوسة، وهذه

الوسوسة تكون ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ فالموسوس نوعان: إنس وجن، فإن الوسوسة هي: الإلقاء الخفي في القلب، وهذا مشترك بين الجن والإنس، وقد علمنا وسوسة الجن، أما وسوسة الإنس: تكون عن طريق الأذن^(١).

* * *

تم بحمد الله تفسير سورة «الناس»

(١) انظر: تفسير ابن كثير (١٤/٦٠٠-٦٠٤)، وأضواء البيان (٩/١٧١-١٨٢)، وبدائع التفسير (٥/٤٣٩-٤٦٤)، وتيسير الكريم الرحمن (ص ٩٣٧، ٩٣٨).

الفهرس

من إصدارات المؤلفه ٥

مقدمة السلسله ٧

* * *

سورة الفاتحة ١١

سورة البلد ١٨

سورة الشمس ٢٣

سورة الليل ٢٩

سورة الضحى ٣٤

سورة الشرح ٣٨

سورة التين ٤١

سورة العلق ٤٥

سورة القدر ٥٠

سورة البينه ٥٣

سورة الزلزله ٥٨

سورة العاديات ٦١

سورة القارعة ٦٥

سورة التكاثر ٦٩

سورة العصر ٧٣

سورة الهمزة ٧٧

سورة الفيل ٨١

- ٨٥ سورة قريش
٨٩ سورة الماعون
٩٣ سورة الكوثر
٩٧ سورة الكافرون
٩٩ سورة النصر
١٠٣ سورة المسد
١٠٧ سورة الإخلاص
١١١ سورة الفلق
١١٥ سورة الناس

* * *

